مركز حمورابي

منطقة التصدع: سوريا وعمق العراق الاستراتيجي

منطقة التصدع: سوريا وعمق العراق الاستراتيجي

بقلم: أ.د حيدر علي حسين/ الجامعة المستنصرية - كلية العلوم السياسية

مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

12 كانون الاول 2024

حقوق النشر محفوظة لمركز حمورابي
للبحوث والدراسات الإستراتيجية

لا يجـــــوز نشـــــر أي من هذه الابحـــــاث والدراســـات والمقالات الا بموافقة المركز، ويجوز الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا، وليس من الضروري ان تمثل المقالات والابحاث والدراسات والترجمات المنشورة وجهة نظر المركز وانما تمثل وجهة نظر الباحث

تفرض معطيات الجيوبولتكس احتياجات على الدولة تدفعها الى القيام بأدوار سياسية وامنية في محيطها الاقليمي بالقدر والشكل الذي يتناسب ومواردها الماديّة والبشرية وقدرات مؤسّساتها الأمنية والاقتصادية والعسكرية. كما ينبغي ان تحدد هذه الادوار الخيارات المتاحة للدولة في إطار العوامل المتحكّمة في محيطها الجيوسياسي. فالقوانين الجيوسياسية المتمثّلة بالمصالح القومية العليا وفي مقدمتها الامن تتحكّم بطبيعة الروابط بين دول المحيط الإقليمي بالارتباط مع الأحداث والظواهر الطارئة التي يمكن ان تزول بزوال مسبباتها، لذا فان التغيّرات الهيكلية الدراماتيكية في الخريطة الجيوسياسية سوف تؤدّي بالضرورة الى تغيّر طبيعة وعمق ونوعية العلاقات بين الاطراف الاقليمية، وكذلك شكل ومنهج التفكير الاستراتيجي الذي سيترتب عليه نمط الاداء.

وبالنظر الى العراق وموقعه، فانه يقف امام دوائر للتحرك محددة بالنطاق الاقليمي القريب ودوائر التحرك هذه تمتاز بوفرة من الخيارات المحدثة للتأثير فيه وفي التعامل معه كونه يمثل عمقها الاستراتيجي الذي تتنافس حوله. لذا فلا بد ومن الناحية الاستراتيجية ان يدرك العراق جيدا ان هذه الدول هي عمق استراتيجي له ينبغي التحرك ازائها وفيها بهيكلية محددة من الاداء والتأثير التي تضمن الامن والاستقرار والتي تقلل من حدة تأثيراتها وتحدياتها.

ان الفكرة في هذه المقالة تنطلق من رؤية استراتيجية للبعد الجيوسياسي في تأثيرات دول النطاق الاقليمي للعراق ونخص هنا (سوريا) المضطربة امنيا والسائرة نحو حالة من المواجهة الغامضة في مرحلة تشهد فيها معادلة التوازن الاستراتيجي ارتباكا مضطردا يمكن ان يؤدي الى اعادة صياغة بنيتها السياسة بالكامل، مما يعني اختلالا واضحا في عوامل الاستقرار الداخلي فيها نحو مرحلة تشكيل مشهدها السياسي والامني، مما يعني انبثاق تحديات جديدة نحو مجالاتها الحيوية القريبة وهذا ما يصب في غير صالح العراق.

بهذا المعنى المتبادل من تفسيرات العمق الاستراتيجي والذي نقصد به هنا تحديدا المجال الذي يمكن للعراق ان يكون فاعلا فيه داخل الامتداد السوري ومدركا ومتأهبا لمواجهة شكل وحجم التحديات التي يمثله، مما يعني الحاجة المتزايدة الى تأمين هذا العمق والاستفادة من ميزاته الاستراتيجية في مراحل من التنسيق او الفعل المؤثر.

وفي ضوء تطورات الحالة السورية الراهنة وما تشهده بيئتها الامنية والسياسية الداخلية من صعود جماعات مسلحة بأهداف وعقائد متعددة وما تفرضه هذه اللحظة المفصلية على الدولة السورية في اطار المواجهة والتصدي والاداء ، فأن لهذه الحالة برمتها تداعيات كبيرة تطال معظم مساحات القرب الجغرافي ومنها تحديدا العراق وهذا يعني ان منطقة الصراع السوري اصبحت (منطقة تصدع استراتيجي) للعراق نظرا لخطورة تأثيرها في الواقع العراقي بكل تجلياته وعلى مختلف المستويات، مما يتطلب توظيف عناصر استجابة عراقية توفر للدولة امكانية تجاوز العوائق التي تؤثر سلباً على عملية تكون الادراك الصحيح لمشاهد محتملة للوضع السوري الانفتاح والتأقلم مع متغيرات البيئة الضيقة والتي يسعى العراق فيها الى الوصول الى مراحل امنية متقدمة تدرأ خطر الاختراق وعلاقة سليمة بين التوازنات الاقليمية المتشكلة والمصالح الدولية والعمل على تجسيد حضوره في تشكيل مجالات المصالح المشتركة والعمل على الحيلولة دون تشكل تكتلات بصياغات طائفية او قومية مجالات خطر جيوسياسية على حدوده

وهذا ينطبق على مسارات الصياغة السورية الراهنة والتي تتطلب إدراك عراقي دقيق لهذه الدولة فكونها ذات ثقل جيوستراتيجي دولي، وإحدى اهم عناصر محور المقاومة، والممر الارضي العابر نحو احدى أخطر مناطق التعرض مع (إسرائيل)، وصولا الى لبنان والبحر المتوسط فضلا عن حجم وطبيعة تأثيرها نحو عمقها الجغرافي في اتجاهات متعددة، يجعل من هذه الدولة المؤطرة استراتيجيا نقطة استهداف يترتب على وضعها ومستقبلها العديد من ترتيبات البيئة الاقليمية في اطارها الاوسع اولا ونطاقها الضيق تحديدا. وهذا يعني ان التوتر والمواجهة هما السمة الغالبة على بيئة التفاعل والتحرك السياسي التي يكون العراق احد اطرافها الرئيسة ، مما يسمح لنا بالحديث عن (مناطق تحرك ضرورية) داخل اطار الدولة المحددة بالنطاق الجيوسياسي والتي تمثلها سوريا مما يطرح مستويات للإداء العراقي تجاه هذه الحالة يجب ان يكون محسوبا على وفق اتجاهات التفكير الاستراتيجي العراقي اولا وضغوطات الحالة الاقليمية ومتطلبات المواجهة ومستوى التحدي الامني بكل مكوناته وتطوراته وتحوله الى تهديد يواجه الدولة، فالتجربة العراقية قريبة وشاخصة في التعامل مع تداعيات الوضع السوري ودرجة انعكاسه الخطيرة على العراق،

فدوائر المواجهة يجب ان تكون جاهزة والقدرة على التصدي ينبغي ان تكون استباقية لإعاقة تكوين نقاط ارتكاز ومناطق مركزية لها في الداخل العراقي القريب من سوريا اولا ومن ثم الحيلولة دون تشكل نواة جديدة لتجمعات مسلحة تولد (احزمة صراع) جيوسياسية تدير مصالحها عبر الحدود وترتبط بأهداف اقليمية . هذا الخطر ينبع من تحولات الوضع السوري اولا ومدى ارتباطه استراتيجيا بالعراق كعمق له من ثلاث جوانب الاول عمق العراق في سوريا والثاني عمق سوريا العراقي والثالث ما يمثله العراق من عمق لأهداف الجماعات المسلحة التي شهد العراق انتقالها عبر خطة واسعة استهدفت كيان ووجود الدولة ، وهذا يعني ان العراق يقع في حدود خط جيوستراتيجي متقدم يتضمن عناصر قوة مختلفة وارادات تضع مرتكزات لبناءات مستقبلية تضمن ادوار محددة ومصالح متعددة تعبر عن الذهنية الاستراتيجية المرتبطة اساسا بدور الولايات المتحدة التي تدير محاور الصراع والتوازن في المنطقة .

أن أحد أهم التأثيرات الإستراتيجية الناجمة عن تباين هذه المواقف إزاء (سوريا الدولة والنظام) تمثل في تهيئة الأوضاع الإقليمية على نحو أدى إلى تمكين الدول الهامشية في النظام العربي من لعب دور متصاعد على حساب ادوار ومكانة الدول المركزية في النظام العربي، وكذلك تهيئة بيئة التناقضات داخل محور العمق الاستراتيجي العراقي في سوريا تحديدا، لأهداف يأتي في مقدمتها استهداف إيران وتهديد امنها القومي المرتبط بالعراق وسوريا في إطار تكوين امني سياسي اقتصادي عقائدي متشابك.

وبالنسبة للعراق في ضوء بيئته الاقليمية المعقدة وتفاعلاتها وحجم الصراع الدائر فيها، فأنه يجد نفسه امام معضلة حقيقية تتمثل في ادارة سياسته مع سوريا دولة العمق الاستراتيجي الأمر الذي يفرض عليه أن يكون عضواً فاعلاً في العديد من التفاعلات التي تتشارك مع دول الجوار، الأمر الذي يزيد من تعقيد وضع خريطة للأولويات الاستراتيجية. فالعراق بسبب موقعه الجيوسياسي ينبغي عليه لزاما أن يصنف أولويات تحركه لمواجهة حجم التحديات التي يتعرض لها وعليه ان يحدد اولا حدود الخارطة السورية الجديدة وحدود القوى المتصارعةوطبيعة التشكل الجديد فيها وفهم تركيبة الصراع وحجم القوة والنفوذ لدى كل طرف فيها ، ففي ضوء المحددات الاستراتيجية بالنسبة للعراق ومع قلة الخيارات المتاحة امامه من ناحية القدرة على التأثير وضرورات المواجهة،

فان أي تحرك في اطار تحالف استراتيجي يعني بالدرجة الأولى ابعاد الدولة عن خطر التهديد الإقليمي والإرهاب عن طريق مسارين يكمل احدهما الاخر الاول عدم الوقوع بين تصارع دول ذات مصالح متشابكة والثاني الفعل والتأثير في المجال الجيوبولتيكي بأنماط محددة من الاداء تجمع بين الهدف الامني والقدرة على تحقيقه والمتطلب العسكري لتثبيته وحمايته والتحرك من اعتبارات المصلحة والحسابات المستقبلية

وفي ضوء الارتباك الحاصل في عمقه السوري ومخرجاته، وكذلك ما يفرضه الوضع الداخلي، يمكن ان تتحدد استراتيجية العراق حيال دولة العمق السوري في عدة اتجاهات، اهمها امتلاك بعض عناصر التوازن ومصادر القوة لمواجهة تحديات الحالة، والحرص على تحقيق توافقات امنية مع دول العمق الاخرى، فلابد ان يصبح العراق دولة ذات أدوار فعّالة حيث يكون حضوره في المجال الذي ينتمي اليه ملموسا وبفاعلية عالية.

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في 25-4-2012 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

مركز حمورابي للبحوث والدراسيات الاستراتيجية

hcrsiraq

العراق - بغداد- الكرادة